قضايا عامة فى حياة الرسول وفى حياتنا

قد فرغنا آنفا من ذكر ما انفردت به كل زوجة من زوجات الرسول ﷺ على حدة عن غيرها من الزوجات ، وكيف أن جميع حالات زوجاته ﷺ تستوعب جميع حالات النساء فى علاقتهن الزوجية ... ولعمرى إن فى ذلك لآية جديدة من آيات الله أن يكون فى هذا العدد القليل من زوجات الرسول ﷺ الغناء الكافى والجواب الشافى لكل مايستجد فى حياة البشر ، ولا نكاد بعد ذلك نجد حالة لها خطرها ... وليحاول كل منكم البحث بنفسه عن حالة خارج نطاق ماذكرناه ليتأكد من ذلك . ويبقى بعض القضايا العامة التى لا تختص بزوجة بعينها من زوجات الرسول (ﷺ) ، ولكنها قد تعرض للناس فى حياتهم سواء من تزوج منهم بواحدة أو بأكثر لنأخذ منها الهدى فى سلوكنا .....

من هذه القضايا بعض المغاضبات : سبق وأن ذكرنا بعض الأمور التى أغضبت الرسول ﷺ ، من بعض زوجاته رضوان الله عليهن ، وتعلمنا من الأدب النبوى كيف نغضب فلا نظلم ولا نفجر .... واليوم نأخذ درسا جديدا فى الأدب النبوى ، حين يكون الغضب من جانب الزوجة فلها أيضا نفس الحق ، أن تغضب من زوجها أحيانا ، وقد يذهب الزوج فى استرضائها إلى حد يَعِدُها فيه بشىء لا يقره الدين ، وقد حدث للرسول ﷺ ذلك مع حفصة

رضى الله عنها ، وذهب فى استرضائها حدا جعله يحرم فيه على نفسه أن يقترب من مارية رضى الله عنها ... وهنا نزل العتاب الفورى من السماء لتصحيح الأوضاع ، ورسم الحدود فى الوعود ، والقصة من أولها خاصة بحفصة رضى الله عنها ، عندما كانت فى زيارة أهلها وفى تلك الأثناء جاءت مارية رضى الله عنها تلتمس لقاء الرسول فى شأنها فخلا بها فى بيت حفصة ... فلما عادت حفصة ألفت الستر مسدلا ، وعلمت أن مارية هناك فأقامت تنتظر حتى انصرفت ، ثم دخلت على الرسول باكية ، وقالت له : أفى يومى وفى بيتى وعلى فراشى ، وماأراك فعلت ذلك إلا لهوانى عليك ، فلم يزل بها حتى هدأت وأرضاها بتحريم مارية عليه ، وقال لها : اسكتى فلك ألا أقربها أبدا ولا تذكريه .... وذهبت حفصة فأخبرت عائشة رضى الله عنها فنزل قوله تعالى ﴿ ياأيها النبى لِمَ تحرم ماأحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم ... قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم ﴾ .

وذات يوم تلقى عليه السلام هدية وهو فى بيت عائشة ، فأرسل إلى كل واحدة من زوجاته نصيبها ، لكن زينب بنت جحش ردت الهدية ، فلم تملك عائشة أن قالت : لقد أقمأت وجهك حين ترد عليك الهدية ، فقال ﷺ : أنتن أهون على الله من أن تقمئننى[1] .

---

١ ــ أزواج النبى للزبير ص ٤٥ .

مشاحنات النساء ــ دخل ﷺ على صفية وهى تبكى فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : حفصة قالت : إنى ابنة يهودى فقال النبى « إنك لابنة نبى وإن عمك لنبى وإنك لتحت نبى ففيم تفخر عليك » وفى رواية قولى لها « زوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى » وهكذا تتغلب حكمة الرسول على ما يحدث بين الزوجات أو بين النساء بصفة عامة ، وقالت جويرية ذات يوم للنبى : إن نساءك يفخرن على ، فقال : أو لم أعظم صداقك ، ألم أعتق كل أسير من بنى المصطلق ، ومن لطيف إجابته ﷺ أن فاطمة رضى الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ ماقالته عائشة رضى الله عنها فقد قالت لها مرة إن رسول الله تزوجنى بكرا وتزوج أمك ثيبا . فذكرت فاطمة رضى الله عنها باكية لأبيها ماقالته عائشة ، فقال لها : رسول الله ﷺ قولى لها « إن أبى تزوج أمى وهو بكر ولم يتزوج قبلها »[1]

أرسل أزواج النبى ﷺ زينب بنت جحش رضى الله عنها فاستأذنت فأذن لها فدخلت فقالت : يارسول الله أرسلنى إليك أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة ... قالت عائشة رضى الله عنها ووقعت فى زينب قالت عائشة طفقت انظر إلى النبى ﷺ حتى يأذن لى فيها فلم أزل حتى عرفت أن النبى ﷺ لا يكره أن

---

١ ــ ص ٤٥ زوجات النبى محمد لابراهيم محمد حسن الجمل ــ مكتبة وهبة .

أنتصر قالت فوقعت بزينب فلم أنشبها أن أفحمتها فتبسم النبى (ﷺ) ثم قال « إنها ابنة أبى بكر »[1].

الغيرة من طبيعة النساء قد يتوهم البعض أن الغيرة لا تكون إلا بين زوجتين فقط ، والحقيقة أنها طبيعة فى النساء ، فقد تغار المرأة من امرأة توفيت ، أو تغار من الأقارب ، أو من الجيران ، أو من صديقة لها لبست ثوبا جديدا أو أشترت سيارة جديدة ... وقد نبهنا الذى لا ينطق عن الهوى إلى هذه الحقيقة ، فى قوله ﷺ « إن الله كتب الغيرة على النساء ، والجهاد على الرجال ، فمن صبر منهن إيمانا واحتسابا كان له مثل أجر الشهيد »[2]

لذلك فإن الغيرة تعتبر قضية حيوية فى فطرة المرأة ، يلزمنا دراسة أبعادها ، فى أفضل بيت وهو بيت النبوة ، لنأخذ منه الحكمة والهدى ، والتعقل فى كل ما يهم الرجل والمرأة على السواء ، فى قضية من أخطر قضايا السلوك ، حيث لا يخلو منه بيت فى وقت من الأوقات ... حتى ولو كان تحت سقف هذا البيت امرأة غير متزوجة ... هاهى عائشة رضى الله عنها محور الدروس المستفادة من هذه القضية ... فنجدها تغار من ذكر خديجة رضى الله عنها ولم ترها ، وتصرح بذلك فى صدق وطهارة المؤمنات بلا كبت

---

١ ــ صحيح مسلم ــ فى فضائل عائشة .

٢ ــ الجامع الصغير للسيوطى ج ١ ص ١٢٠ .

ولا التواء .... الفطرة القوية الصريحة تعبر عن نفسها ، قائلة ماكنت أغار من زوجة مثلما كنت أغار من خديجة ، مع أننى لم أدركها لكثرة ماكان الرسول يذكرها .

وقالت مرة للرسول ﷺ وقد رأته لا ينقطع عن ذكرها كأن لم تكن فى الدنيا امرأة إلاخديجة ــ وغضب الرسول ﷺ ذات مرة حين قالت له : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش ، حمراء الشدقين ، هلكت فى الدهر ، وقد أبدلك الله خيرا منها ، فقال لها الرسول غاضبا : « والله ما أبدلنى الله خيرا منها ، آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وآوتنى إذ رفضنى الناس ، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى منها الله الولد .... فأخذت عائشة على نفسها ألا تذكرها مرة أخرى .

لما أنزل الرسول ﷺ صفية ببيت حارثة بن النعمان ذهبت عائشة متنقبة لتنظر إليها ، فلمحها الرسول (ﷺ) فتبعها وهى خارجة وأخذ بثوبها ، وسألها ضاحكا كيف رأيت ياشقيراء ؟ فأجفلت وهزت كتفها قائلة رأيت يهودية ، فرد عليها النبى ﷺ قائلا لا تقولى ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها .

دخل الرسول ﷺ على عائشة فوجدها تشكو صداعا ، وتتوجع قائلة وارأساه ، فقال لها : بل أنا والله ياعائشة وارأساه ، وداعبها قائلا : ماضرك لو مت قبلى ، فقمت عليك ، وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ، فهاجت غيرتها وقالت ليكن ذلك حظ

غيرى ، والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك ، فتبسم الرسول ﷺ .

ما أن أعلنت خطبة الرسول ﷺ لزينب بنت جحش حتى غارت عائشة ، وقالت : ماأرى ربك إلا يسارع فى هواك ، لما تزوج الرسول (ﷺ) من أم سلمة غارت عائشة لما علمت من جمالها تقول فتلطفت حتى رأيتها فرأيت أضعاف مما وصفت به .

مقالب نسائية وراءها الغيرة فى إحدى الغزوات اصطحب الرسول ﷺ عائشة وحفصة ولما وجدته حفصة يقترب كثيرا من هودج عائشة ويكلمها انتظرت فرصة ابتعاد الرسول عن هودج عائشة ثم جاءتها وأسرت إليها بكلام فتضاحكتا ، ثم استبدلتا ركوبهما ، ثم أقبل الرسول إلى هودج عائشة يكلمها وحفضة بداخله وعندما حط الركب فى المساء وقصد الرسول الخباء وجد حفصة وقضى ليلته معها ، وفات عائشة نصيبها ولامت نفسها .

ـــ ذات ليلة انتظر الرسول (ﷺ) حتى نامت عائشة ثم خرج فى هدوء إلى البقيع كى لا يوقظها ، أخذت عائشة الغيرة وظنته ذهب إلى غيرها ، فتسللت وراءه فوجدته قد قصد البقيع ، ولمحها مسرعة أمامه بالعودة وعرفها ....

ـــ قال لها رسول الله ﷺ ذات مرة : أغرت ؟ قالت : ومالى لا يغار مثلى على مثلك .

ـــ وفى إحدى المواقف عذرها وقال : ويحها لو استطاعت

أمكم .

ـــ أرسلت نساء النبى ﷺ فاطمة إلى أبيها رسول الله يسألنه العدل فى بنت أبى قحافة ، فقال الرسول لفاطمة : أو لست تحبين ما أحبه ؟ قالت : بلى يارسول الله فقال لها : أحبى عائشة .

ـــ روى عن عروة قال كان الناس يتحرون بهدياهم عائشة رضى الله عنها ، قالت : فاجتمع صواحبى إلى بيت أم سلمة رضى الله عنها فقالوا : يا أم سلمة وإنا نريد الخير كما تريد عائشة ، فمرى رسول الله أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان ، قالت : فذكرت ذلك أم سلمة للنبى ﷺ . قالت : فأعرض عنى فلما كان فى الثالثة ذكرت له ذلك ، فقال : ياأم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فإنه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاق امرأة منكن غيرها .[1]

لما اجتمع نساء النبى (ﷺ) حول فراشه فى مرضه قالت صفية : إنى والله يانبى الله لوددت أن الذى بك بى ، فتبادلن نظرات ذات معنى ، فقال الرسول (ﷺ) لهن مضْمِضْنَ فتساءلن فى دهشة من أى شىء قال من تغامزكن والله إنها لصادقة .

مؤامرة نسائية وراءها الغيرة المؤامرة هذه المرة من عائشة رضى الله عنها ، لغيرتها من زينب بنت جحش ، التى اعتاد الرسول (ﷺ) أن يشرب عندها عسلا وقيل من حفصة ... المهم

---

١ ـــ صحيح البخارى ومسلم . والنساء من والترنوس .

أن عائشة رضى الله عنها هى التى أدارت المؤامرة النسائية ، وكأنى بها مداعبة أكثر منها مؤامرة ، واشترك فيها الأخريات ، ابتدأت بسودة بنت زمعة حيث اتفقت معها إذا جاء رسول الله ﷺ فابعدى وجهك عن فمه وقولى له هل أكلت مغافير ؟ (نوع من العسل له رائحة كريهة)

وكذلك فعلت عائشة وغيرها ، إذ سألنه ﷺ ما هذه الريح ؟ قال : سقتنى زينب شربة عسل ، قالت : رعت نحلة العرفط ولما ذهب فى اليوم التالى إلى زينب أو حفصة فى رواية وأرادت أن تقدم له العسل رفضه فى البداية ، وعرفت القصة فى النهاية .

عند احتضار أم حبيبة رضى الله عنها دعت عائشة وقالت لها قد كاد أن يكون بيننا مايكون بين الضرائر فتحلليني من ذلك ، فحللتها عائشة واستغفرت لها ، فتهلل وجهها وقالت : سررتنى سرك الله ، وكذلك فعلت مع أم سلمة رضى الله عنهن جميعا .

ملاحظاتى

١ ــ أن أكثر مواقف الغيرة كانت من الزوجة الأولى ،أو البكر ، وعائشة رضى الله عنها تعتبر فى حكم الزوجة الأولى ، لأنها أول من تزوجها بعد خديجة رضى الله عنها ويبدو أن الثيب أكثر قناعة .

٢ ــ أن هناك فرق بين الغيرة المحمودة والغيرة المذمومة ... الأولى لا يكون فيها مثلما يكون فى الثانية من خروج عن الاعتدال .. وهو مايحدث اليوم حيث تنطوى غيرة اليوم على

الخوف على الحقوق ، وتوقع الظلم ، والميل عن العدل ، لأن الإنسان المعاصر بعيد عن التربية الإيمانية ، لايؤمن جانبه ، ولا يملك هواه ، ولايكاد يفى بمطالب بيته ، فالتى تغار اليوم إنما هى فى الحقيقة تخاف من كارثة متوقعة ، وليست مجرد غيرة من رجحان كفة المحبة .....

٣ ــ أن الغيرة المحمودة أمر فطرى ، عالجه الرسول (ﷺ) بالابتسامة تارة ، وبالعتاب تارة ، وبالغضب تارة ، وهو على العموم بين أمهات المؤمنين مأمون العاقبة لا يصل إلى حد الكيد والضغائن ، ولا إلى حد توقع الجور والظلم ، ومن الطبيعى عند هذه النقطة أن نصل إلى قيمة العدل بين الزوجات فى حياة الرسول (ﷺ) فى حياتنا .

عدله ﷺ

كان ﷺ يسوى بين زوجاته فى خطوط الحياة ... ويختص كل واحدة بليلة ، ويقول : اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما لا أملك .

ــ كان يجتمع بجميع نسائه طعام العشاء كل ليلة فى بيت من يكون لها اليوم .

ــ كان يقوم بالقرعة بين نسائه كلما خرج لغزو ...

ــ وفى صحيح البخارى عن أنس أن رسول الله كان يطوف على نسائه وهن إحدى عشرة امرأة .

ـ وعندما نزلت آية التخيير اخترن جميعا عن رضى الحياة مع رسول الله ﷺ برغم شظف العيش ، باستثناء عمرة الكلابية التى اختارت الفراق ، وهذا التخيير برهان ناصع ، وشهادة ناطقة بحقيقة الحياة السعيدة فى كنف النبى (ﷺ) .

الضيوف الثقال :

تحدث لكل بيت فكيف نهتدى بفعل الرسول وبآداب الإسلام ؟ كان ذلك ليلة عرس الرسول بزينب بنت جحش ، حيث طاب لبعض المدعوين الجلوس للتسامر ، والعروس جالسة ووجهها للحائط ، وخرج الرسول وترك مع الضيوف خادمه أنس بن مالك ، وأخذ يطوف على نسائه مسلما ، وهن يهنئنه بالعروس ... فخرج الضيوف ما عدا ثلاثة ظلوا حيث هم ... ولما عاد وجدهم حيث هم ، فكر راجعا الى بيت عائشة ، وبقى أنس منتظرا مع الضيوف حتى انصرفوا ، فأسرع بإخبار الرسول فنزلت آية الحجاب فى قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ... ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لايستحيى من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن ... وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ..... إن ذلكم كان عند الله عظيما ﴾ ... وأكاد أحس من وحى هذه الآية الكريمة أن على الضيوف أن ينصرفوا عقب تقديم

الشاى أو الطعام ، فإذا أراد المضيف إطالة مكثهم أخر التحية ، ولكن بعد تقديمها تكون إعلاما أدبيا بانتهاء الزيارة ... ولعل هذا ما دعى الملوك والرؤساء فى تقاليد المراسم أن يكون وقوف الملك أو الرئيس ايذانا بإنهاء الزيارة ، لكن تقديم التحية أو الطعام أكثر تهذيبا ولطفا ، إذا شاعت هذه الآداب بيننا ...

الأحمق المطاع :

ماذا تعمل عندما يدخل أحد بيتك بدون إذن ؟

حدث ذلك مع رسول الله ، حيث دخل عليه عيينه الفزارى بغير إذن ، وكانت عنده عائشة ، فقال له النبى ﷺ : فأين الاستئذان ؟ فقال : يارسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ، ثم قال للرسول : من هذه الحميراء إلى جنبك ؟ فقال له رسول الله : هذه عائشة أم المؤمنين ... قال أفلا أقل لك عن أحسن الخلق ؟ قال : ياعيينة إن الله قد حرم ذلك ، فلما أن خرج قالت عائشة : من هذا ؟ قال : هذا أحمق مطاع وأنت على ماترين سيد قومه .

إشاعة كاذبة :

ماذا تعمل عندما يشيع الناس على أهلك سوءا ؟ تتريث حتى تتحق أو تتصرف بطيش وجنون ؟ علينا أن ننظر فى تصرف الرسول ﷺ ، فقد انتشرت إشاعة كاذبة روجها المنافقون ، بأن مارية لها

اتصال برجل قبطى وفد معها من مصر يأتيها بالماء والحطب ... وبلغ الخبر رسول الله ﷺ فاغتم لذلك ، خاصة وأن ذلك جاء بعد حادثة الإفك ، فأرسل الرسول عليا كرم الله وجهه ليتبين الأمر فوجد القبطى على نخلة ، فلما شهر سيفه وقع رداء القبطى من الخوف فإذا به (مجبوب) ، فأخبر الرسول بذلك فاطمأن ثم جاء جبريل وبشره بقوله ياأبا إبراهيم ... ولكن حدثت واقعة أخرى جعلت الرسول يمنع حتى هذا النوع من الرجال من غشيان مجالس النساء ، إذ كان هناك مخنث يدخل على أزواج النبى ﷺ ، فكانوا يعدونه من غير أولى الإربة ، فدخل النبى يوما وهو عند بعض نسائه فوجده ينعت امرأة بقوله : إذا أقبلت أقبلت بأربعة ، وإذا أدبرت أدبرت بثمان ، فقال النبى ﷺ : أنا أرى هذا يعرف ما هاهنا لايدخلن عليكن .

عبء النفقة فى حياة كل أسرة

عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لعروة : ياابن أخى إنا كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقدت فى أبيات رسول الله نار فقلت : ياخاله ما كان عيشكم قالت : الأسودان التمر والماء إلا أنه كان لرسول الله جيران من الأنصار لهم منائح وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانها وصبرت أمهات المؤمنين .

فماذا تعمل عندما لا تكف زوجتك عن مطالبتك بمستوى

معين من المعيشة ، وليس لها علاج إن أعطيت مال قارون ، إلا بأن تنمى الإيمان بالله واليوم الآخر فى نفسها ... هذا هو العلاج فى حياة الرجل والمرأة على السواء ، وإلا عجز الرجل عن توفير الحياة السعيدة لبيته ... ومن حكم ابن القيم قوله فى وصف القلب الدنيوى : (ففى القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به فى خلوته ، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته ، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه ، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه ... وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه ... وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له ، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الخلة أبدا ... فالتفرق يوقع وحشة الحجاب وألمه أشد من ألم العذاب) ...

هاهى الدنيا تتمكن من قلب واحدة من زوجات الرسول فتختار الفراق ...

القصة بدأت عندما أكثرن على رسول الله بطلب النفقة ... دخل عليه عمر بن الخطاب وهن مجتمعات حوله ، فأسر فى نفسه أن يضحكه فذكر له امرأته سألته متاع الحياة الدنيا ، فقام إليها فوجأ عنقها ... فتبسم الرسول وقال : « كلهن حولى يسألن النفقة ... » استمرت الأزمة حتى غضب الرسول،واعتزلهن شهرا ،

حتى أشيع أن النبى طلق نساءه ، فنزل قوله تعالى : ﴿ ياأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما .. ﴾ فخيرهن رسول الله وبدأ بعائشة فقالت : أفى الله ورسوله أخير بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، ماعدا عمرة الكلابية التى اختارت الدنيا ، وعاشت بائسة وعميت فى آخر أيامها ، ورؤيت تلتقط البعر وتقول : أنا الشقية .... وهكذا لا تغلب على رغبة الدنيا إلا عندما يقوى اليقين فى الله تعالى ورسوله والدار الآخرة .

حديث الإفك :

أقسى ما يمكن أن يواجه الإنسان فى حياته حين يطعن فى شرف أهله .... وكم خربت هذه التهم الباطلة من بيوت وكم سفكت من دماء ، وسجل الشرق والغرب حافل بالآلام وبالضحايا الأبرياء ... لأن هذه الجريمة النكراء لا يمكن أن يصل إليها القانون ، وإنما صمامها الأول والأخير هو فى التربية الصحيحة ، على الإيمان الذى يقيم الموازين ، ويضبط الأقوال والأفعال فى الأفراد والجماعات ، فلا تذهب بهم الأهواء والظنون ، وكان بيت النبوة الكريم محل هذه التجربة الصعبة ، التى كانت سببا فى صقل تربية المؤمنين فى مثل هذا الأمر العظيم ... ﴿ وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ﴾ ... وصدق الله العظيم .

تولى كبر هذا الأمر رأس المنافقين ابن سلول ، حين لمح وهو جالس مع جماعة المنافقين موكب صفوان وعائشة يطل على المدينة فقال : أيها الناس ظعينة نبيكم عادت فى ركاب رجل ، والله مانجت منه ولا نجا منها ... وسارت الأكذوبة وخاض فيها مسطح ووصل الهمس إلى أذن رسول الله ﷺ ، فاهتم وانصرف عن عائشة حتى دهمها المرض ، فذهبت إلى بيت أبيها ، واستجاب الرسول لطلبها بسرعة جعلتها تحزن ... مكثت حوالى ٢٠ يوما فى بيت أبيها يزورها الرسول قائلا على مضض كيف تيكم لا يزيد عليها كلمة ، ليست فيها إلا السؤال الرسمى ، خالية من دفء الحب وحرارة الشوق ، ولهفة الخوف .... ماذا جرى يالها من مصيبة ، والرسول العظيم لا يستجيب لهذا الهمس المجنون ، وإن جرحت مشاعره من الهموم ، ولكنه يبصر الخائضين والخائضات فى نار الجحيم بموازين الصواب فى القول والعمل ... انظر إليه وهو يحمل قلبه المكلوم بهذه الطعنة ومع هذا فها هو يقف على المنبر ويخطب ويقول : أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيرا ..... ويقولون ذلك عن رجل ما علمت منه إلا خيرا ، وما يدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى ..... فسكت الناس .

ـــ ولم يكتف النبى بهذا التركيز بموازين الآداب ... بل ذهب يستشير خلصاءه : على ، عمر ، وهكذا ...

ـــ ومرة أخرى حين أكثر الناس قال : فليتقين الله فى

عائشة ، فوالله مانزل علىّ الوحى وأنا فى فراش واحدة منهن غيرها ....

ــ وياله من موقف صعب حين يتوقف الوحى كذلك ، فى وقت أحوج ما كان المؤمنون فيه إلى شفاء من هذا الكرب العظيم ... حتى أن النبى الحليم لم يجد بدا من مواجهة عائشة بالسؤال ، حتى يخفف عن صدره ثقل الأحزان ، فيذهب إلى بيت أبى بكر ليسأل عائشة ، التى وجدها تبكى بعد أن جلس قبالتها ....

كانت عائشة لا تدرى من الأمر شيئا ، ولكنها وجدت الجو قد تجهم من حولها فجأة ، وهجر الرسول لها أمرضها ، وأحست بالحاجة إلى أن تذهب إلى بيت أبيها فذهبت ، ولما خرجت ذات يوم إلى الخلاء مع أم مسطح ، تتوكأ عليها من شدة المرض ، عثرت أم مسطح فقالت : تعس مسطح ، فقالت عائشة : بئس ــ لعمر الله ــ ما قلت فى رجل من المهاجرين شهد بدرا ، فقالت أم مسطح : تدافعين عنه ــ أوما بلغك الخبر يابنت أبى بكر ، قالت عائشة : وما الخبر فأخبرتها بحديث الإفك فكاد أن يغمى عليها ، وقفلت إلى بيت أبيها تبكى وتنتحب ... وتلوم أمها التى كتمت الخبر عنها ، وقالت أمها : أى بنية هونى عليك الشأن ، فو الله لقل ما كانت امرأة حسناء عند زوج يحبها ولها ضرار إلا كثرن وكثر الناس عليها .....

جاء الرسول الكريم ليسأل عنها فوجدها تبكى وتنتحب ...

فجلس قبالتها وسألها : ياعائشة إنه قد بلغك ـــ من قول الناس ـــ فاتقى الله ، فإن كنت قد قارفت سوءا مما يقولون فتوبى إلى الله ، إن الله يقبل التوبة عن عباده .... وخيم الصمت الرهيب ... فقالت لوالديها : ألا تجيبان ؟ قالا : والله ماندرى بماذا نجيب فانخرطت فى البكاء ... وقالت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا ، والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنى بريئة لأقولن مالم يكن ، ولئن أنكرت ما يقولون لاتصدقونى ، إنما أقول كما قال أبو يوسف .... فصبر جميل والله المستعان على ماتصنعون ... ثم عاد السكون ... فنزل الوحى على الرسول ، وفزع الجميع إلا عائشة فهى مطمئنة إلى قصتها ، التى لا يعلم حقيقتها إلا الله ، ومر شريطها سريعا ، ذلك أن الرسول لما خرج لتأديب يهود بنى المصطلق اصطحب معه عائشة ... ولما تزاحم الأنصار والمهاجرين على الماء وتلاحيا وتناديا بما لايحب رسول الله قال لهم : أدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، وأمر على الفور بالرحيل ، وسارت القافلة سيرا متواصلا ليلا ونهارا لمدة ٢٤ ساعة حتى انهكت ، ونسى المختلفون أسباب الشقاق ، ثم حطت القافلة فأخذ الناس نوم عميق ... كانت عائشة قد خرجت من خبائها لقضاء حاجة ، وهى لاتعلم بالظروف التى عجلت بالرحيل ، مما لم يجعلهم يتبينوا خلو الخباء من عائشة ... لما عادت افتقدت عقدا لها ، فرجعت ولملمت حباته ، وحين بلغت مكان الهودج لم تجد

أثرا ... فلبثت فى مكانها ... وكان من عادة الرسول أن يرسل إثر كل تحرك رجلا من صحابته اسمه صفوان ، يستدرك مافاته المسلمون .. فلما لمحها صفوان غض بصره ، وقال فى دهشة : ظعينة رسول الله ، ماخلفك يرحمك الله ؟ وما الذى أخرجك ؟ فلم ترد ، وتأخر حتى ركبت ، وشغل الناس بمصير عائشة ... وما أن أطل موكب صفوان وعائشة على المدينة ، حتى لمحه ابن سلول فقال ما قال من ظن السوء ... وطارت الإشاعة ... وكانت المحنة الشديدة التى تتابعت حلقاتها .. حتى جاء الرسول ليسألها عن الأمر ... وها هو الوحى ينزل عليه ... الكل قد فزع إلا عائشة البريئة ... وحين نزع الوحى عن رسول الله قال متهللا : أبشرى ياعائشة قد أنزل الله براءتك فصاحت : الحمد لله ، ثم تلى رسول الله قوله تعالى :﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم مااكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ... لولا إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ... يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم لو لاجاءوا عليه بأربعة شهداء فإن لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون... ﴾ فأمر الرسول بمروجى الفتنة فنالوا جزاءهم كما أمر الله .

والسؤال الآن ماذا يفعل اليوم إنسان يتهم فى أهله ؟ أو ماذا

تفعل امرأة بريئة إذا اتهمت ؟ وليس هناك وحى ينزل ليبرىء هذه أو تلك ..؟ كيف يتصرف إنسان فى مثل هذه المحنة ؟ وماهى الآداب والحدود ؟ كل هذا نأخذه من فعل الرسول الحكيم ، أثناء هذه المحنة ، ومن كتاب الله الذى بين القواعد والآداب ، وصان الأعراض وشدد النكير على من يخوض فى شىء من ذلك ، وتوعدهم بأشد أنواع العذاب ، وبهذا يكون بيت النبوة قد قدم لنا كل الهدى فى جميع القضايا التى تهم الرجل والمرأة على السواء فى كل شأن من شئون الحياة ...

لم تقف الحكمة عند حياة الرسول ، بل وبعد انتقاله إلى ربه ، كان لنا فى حياة أمهات المؤمنين من بعده دروس وعبر ، نسوقها سريعا بعد معرفة مشهد الوفاة ...

وفاة زوجات الرسول

كان الرسول فى مرضه يسأل كل يوم أين أنا اليوم يستبطىء يوم عائشة ، فتبرعن عن طيب نفس بأيامهن لعائشة ، ليتمرض فى بيتها ، وكان الرسول يقول لهن ... أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا .

زينب بنت جحش :

فكانت نساء النبى إذا اجتمعن بعد وفاته عليه السلام ومددن أيديهن لم تكن زينب بنت جحش أطولهن يدا ، فلما ماتت علمن